تفريغ مادة مرئية بعنوان

من هو ابن عربي الطائي المكي؟

.

٦/٧/٢٠١٧ – ١٢ شوال ١٤٣٨

مدة المادة: ١٧:٢٨

الشيخ

أبو قتادة الفلسطيني

حفظه اللّٰه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

أخ يسأل عن ابن عربي الطائي المكي، صاحب كتاب فصوص الحِكَم وكتاب الفتوحات، وصاحب التفسير المشهور؛ يسأل عنه..

أنا أستغرب أن يصبح للناس اعتناء بهذا الشخص.. بهذا العلم!! ولكني فهمت أن هذا الاعتناء بالسؤال عنه مرده ودافعه هو: أن هناك بعض من يعظمه عن طريق التمثيلية وعن طريق المسلسل وعن طريق التمثيل، ويقدمونه على صورة فيها الكثير من التبجيل والتعظيم والتكريم له، وأن له الفاعلية في تاريخ الأمة، وحضارتها، ومقاومتها لأعدائها..

فالجواب عن هذا الرجل وهو ابن عربي..

والكل يعرف الآن.. وأظن ليس من الخفاء أن يفرق الناس بين ابن عربي الطائي المكي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحِكَم؛ وبين الإمام المالكي ابن العربي صاحب الكتب المالكية الشهيرة في أحكام القرآن، وفي الناسخ والمنسوخ، وفي شرح الترمذي.. فهو إمامٌ مالكيٌ مشهور معروف، وهو متقدم في الوجود والوفاة على ابن عربي هذا.

والعلماء كثيرًا ما يميزون بينهما بالتعريف والتنكير، والحق: أن هذا للتفريق فقط، وليس من قبيل التحقيق، فيقولون: ابن العربي المالكي، وابن عربي الصوفي.

وابن عربي الصوفي مذهبه في الفقه ظاهري.. مذهب ابن عربي الطائي ظاهري؛ وهذا شيءٌ غريب: أن يكون باطنيًا في التصورات والعقائد، وأن يكون ظاهريًا في الفقه لا يقول بالقياس ولا بالمعاني ولا بالمقاصد!

فالتفريق بينهما يتم مرات عن طريق التعريف والتنكير فنقول: ابن العربي المالكي، وابن عربي الطائي الصوفي.

وبعضهم يرد هذا من التحقير له، ولكن هذا يتم فقط للتعريف..

وأما التفريق بينهما في العقائد وفي الهداية والضلال، فهذا باب آخر لا يتعلق بالتنكير والتعريف؛ يعني: لا أعتقد أن موضوع تنكير ابن عربي الصوفي يضره، وإنما هذا من الألفاظ، وإلا فإن الكثير من الذين يكتبون عن ابن عربي الطائي الصوفي يذكرونه على جهة التعريف إنكارًا على من ينكره.

والتقدم بينهما كبير، يعني: توفي ابن العربي في ٥٤٣ – أظنه ٥٣٤، وحرك الشيخ يده، الآن أنا أشك بينهما (٥٤٣ – ٥٣٤) – هذا المالكي الفقيه المفسِّر العملاق؛ وأما ابن عربي فتوفي سنة ٦٣٨ للهجرة–

والعرب يقرأون من اليمين للشمال، فيقولون: ثمان وثلاثون بعد الستمائة، أو: ثمان وثلاثون وستمائة – فهو متأخر..

وهو –أي: ابن عربي– سنده الصوفي ينتهي بأبي الحسن الشاذلي، ومن قبله أبي العباس المرسي..

وهو رجل –في الحقيقة– أندلسي.. رحل من الأندلس؛ وطاف البلاد؛ ومكث في مصر مدة؛ ثم ذهب إلى مكة وألف فيها "الفتوحات المكية" التي زعم أنه قد كتبها وعرضها فوق الكعبة: فإذا تغيرت فسيرميها، وإذا لم تتغير فهي الحق.. فلهذا تسمى الفتوحات المكية؛ ثم بعد ذلك ذهب إلى دمشق واستقر في دمشق وتوفي فيها، وهناك قبره..

ويسمى عند الصوفية "الشيخ الأكبر" تعظيمًا له، وإجلالًا وإكبارًا لمقامه..

هذا الرجل وهو ابن عربي.. الطائي: نسبة؛ المكي: يعني استقر في مكة، ونسبة للفتوحات المكية؛ الدمشقي: وفاةً... هذا الرجل شغل الناس كثيرًا، لأن هناك من يعتقد بولايته، من القدامى والمعاصرين، يعني: ليس فقط من المعاصرين، حتى بعض الفقهاء والمفسرين يعتقدون ولايته، يعني: الآلوسي في تفسيره يعظم شأن ابن عربي الطائي، ولكن الأكثرين على تضليله وتكفيره..

بعض الناس يظن أن عدوه الوحيد في التاريخ الإسلامي والمسيرة العلمية الإسلامية هو ابن تيمية؛ وهذا غير صحيح.. في الحقيقة: هناك من عاصره وكفره.. فالعز بن عبد السلام ذكر عنه –وكذلك عن شيخه، وكذلك عن بعض تلاميذه– أنه يعده دجالًا كذابًا؛ وكذلك ابن حجر ينقل عن شيخه البلقيني: أنه شيخ سوء كذاب وكافر..يكفرونه

والبقاعي له كتاب "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" –وإن كان المحقق للكتاب جعل له عنوانا آخر، فسماه: "مصرع التصوف"، وإنما هو –في الحقيقة– تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي– ذكر فيه الكثير من العلماء الثقات..الفقهاء..الذين لا يحابون في دين..وليس لهم عداء تاريخي للصوفية –كابن حجر– على ظن بعض الصوفية.

هذا الرجل الآن –الحديث عن شخصه هو– هو بين يدي الله.. أنا أريد أن أقول للإخوة كلمة: لا تتحدث عن الشخص إلا إذا كان شخصه له أهمية في الباب؛ يعني: لا يهمنا الآن ابن عربي كشخص.. من هو؟ أين مستقره؟ ابن عربي في الجنة أو في النار؟ هذا لا يهمنا نحن.. يهمنا هذا الشخص عندما يكون لحضور شخصه أهمية؛ يعني: الآن نحن ننظر في رجال الحديث.. يهمنا أن نعرف الحكم فيهم.. وماذا قال أهل

الجرح والتعديل فيهم؟ فأشخاصهم وأسماءهم لها أهمية في البحث؛ لكن هناك من الأشخاص من ذهبوا.. وأشخاص لم يعد لهم أهمية، وإنما ما يهمنا الكتب..

فما يهمنا في ابن عربي الآن هو الأمور التالي:

أن كتبه كافرة؛ ولا يوجد مسلم على ظهر الأرض يقرأ كتب ابن عربي ويعرضها على الفقه الإسلامي الصحيح والفقه السلفي الحقيقي، إلا ويقول: هذه كلمات الكفر والزندقة والردة عن دين الله عز وجل..

كيف يدافع عنه؟؟ إما بأن يقال: إنكم لا تفهمون الكلام، فإذا قيل لنا هذا فالمطلوب إذا ممن فهمه أن يفسره على وجه من الشريعة والموافقة لها.. وإلى الآن لم يحدث هذا.. أنا لا أعرف أحدًا.. هناك بعض المعاصرين.. كان واحد يسمى: "محمد غراب، أو: محمد غرابي" يروج له دون أن يفسر الكلمات، التي علمها العلماء منه أنها كفر و ردة؛ فأراد أن يفسرها على جهة من القبول الشرعي.. فلذلك أولوا لنا كلامه.. ولا يستطيعون..

النقطة الثانية، والتي وجدت الأكثرين يتعاملون بها للدفاع عن ابن عربي: أن كتبه قد دس عليها.. يقولها الشعراني في الطبقات الكبرى وفي الميزان.. يقول: بأن كتب الأكابر -كما يسميهم- قد دس عليها.. فيها كلمات الكفر؛ والغريب: أن هذا الكلام يقال عند الحِجاج، لكنه عند التمحيص لا نجد هذا الموقف!! بمعنى: أنكم لو قلتم: أن هذه الكلمات مدسوسة عليه، وأنها كفر وردة، وأنها لا تلتقي مع الشريعة في شيء من الأشياء، وهي مخالفة ومناقضة لأصل الدين وهو التوحيد؛ فعليكم أن تزيلوها.. أقل شيء عندما تضبط تعلقون عليها.. أقل شيء لا تقرأوها في مدارسكم ومعاهدكم، ولا في جلساتكم؛ وإنما أنتم تأخذون هذه الأشعار الكفرية له -وهو شاعر رمزي رائق.. ابن عربي له أشعار رمزية رائقة في الشعر.. بغض النظر عن معناها- وتتغنون بها في أماكن ذكركم -في الرقص والذكر أو الحضرة كما تسمونه-..

نجد أنكم تقولون حين تجتمعون بالآخرين المخالفين: أنها مدسوسة على الشيخ؛ وعندما تسرون، تجلسون وتقرأونها على جهة التذوق والتغني بها..

وبالتالي: الذين يدافعون عنه لا يستطيعون.. لا يوجد موقف علمي لفقيه يتعامل مع الشريعة دون باطنية أو زندقة خفية، لا يستطيع أن يدافع عن ابن عربي..

ما يهمنا هنا – نحن لا نتكلم عن شخصه.. أفضى إلى ما قدم.. يمكن للمرء أن يكفره، لأن كتبه شاهدة على هذا الكفر – هو كتبه هذه؛ وأشهر كتبه هي التي ذكرتها، وله كتب أخرى.. حتى أني وجدت.. اليوم وصلتني -بعضهم يستغل اسمه باعتباره من أهل التصوف والمعارف والكشف لأنه يتحدث عن واقعنا- اليوم

وصلت لي قصيدة كذبوا فيها عليه وأخرجوها أيام صدام، على أن الدجال قد اقترب؛ واليوم يقولون كذلك: أن الدجال قد اقترب.. بنيران تشتعل في الخليج.. هكذا.. بقصائد مكذوبة عليه.

ومن أهم كتبه، التي هي منسوبة له، وأخذت عنه مشافهة، ورواها التلاميذ عنه، وهو كتابه الأول، وهو: كتاب الفتوحات المكية.. وهو كتاب -في الحقيقة- كتاب ضال .. كفري.. مليء بوحدة الوجود.. مليء بنواقض الشريعة.

الكتاب الأكفر والأشد كفرًا هو: كتاب فصوص الحِكم؛ وزعم -في الفتوحات المكية قلنا: أنه أكسبه المهابة عن طريق دعوى أنه لما كتبه وضعه فوق الكعبة، وجعل الرياح والمطر والحرارة تمر عليه، وتحدى إنه إذا كان فيه ضلال فسيمسخ الله عز وجل هذا الكتاب، ولم يحدث شيء، فلذلك: أخذت هذه الهيبة وهذا القبول- فصوص الحكم زعم أنه كتاب وقع إليه من الله.. هكذا!! جاء الله جل جلاله وقال: هذا كتاب بلغه للناس وهناك التفسير.. كتاب منسوب له- ولا شك أن كتاب الفصوص -والفتوحات كذلك- هو الكفر المحض.. لا يجوز لمسلم أن يتوقف في تكفير هذا الكتاب، ومتفق على تكفير هذا الكتاب، ولا يجوز لمسلم أن يقرأه إلا على جهة المعرفة لما يقول، إذا كان آمنا ألا يقع في الزلل الذي فيه..

وهو -أي: ابن عربي- يقول بوحدة الوجود، يعني: أنه لا فرق بين المخلوق والخالق فهما شيء واحد؛ وهذا الذي يقوله أهل الوجود، هو الذي يقوله الماركسيون: "الحياة مادة"، يعني: الله والمادة شيء واحد.. هكذا يقولون.

وكذلك يعطلون الشريعة؛ ويعطلون العقاب، بمعنى: إن الذين يدخلون جهنم لا فرق في الاستلذاذ بينهم وبين أهل الجنة؛ فلذلك: فرعون هو إمام الموحدين، بل إنه أدرك التوحيد أكثر مما أدركه موسى.. وهكذا.

يعني: لا يشك أحد في أنه إذا قرأ هذا الكتاب وعرضه على عجائز المسلمين وعلى أطفالهم، أن يقولوا: هذا ليس من الإسلام في شيء.. هذا متفق عليه.

المشكلة: أن الرجل في تاريخه ليس له شأن.. كان حقيرًا.. حكم عليه بالكفر في حياته.. ولم يكن له شأن في التحولات الحضارية الكبرى، مثل مجاهدة الصليبين مثلًا.. المعروف: أنه عاش في فترة آل زنكي، وعاش فترة صلاح الدين؛ ولا يعرف عنه أنه شارك بكلمة ضد أعداء الله -أما ما يزعمه بعضهم: أن المدرسة الصوفية ربت جيلا.. الصوفية هي التي صنعت جيلًا حقق حطين ونصرها.. هذا كله تخيلات لا وجود لها في التاريخ ولا حقيقة لها- فابن عربي هذا رجل -الآن بعضهم يحاول أن يجد الشرعية لنفسه بأنه بناء ابن عربي، وابن عربي محترم عند كل طوائف الصوفية؛ وكل هذا مخالف للحقيقة- ابن عربي ليس في التاريخ الذي يقولونه؛ أما في التاريخ الحقيقي: فهو رجل ساقط الأثر في حركة الأمة، وفي إحيائها، وفي جهادها..

فلذلك: هذا الذي أراه والذي أقوله عن ابن عربي.. نسأل الله العفو والعافية.

والغرب -للذكر- تبنى الخطاب الصوفي في وقت من الأوقات، للوقوف أمام الخطاب الفقهي الإسلامي السني؛ ولذلك نشط المستشرقون في طباعة الكتب الصوفية.. كل كتب الصوفية المطبوعة بدأ الاهتمام بها غربيًا.. وعلى غرارهم مشى أبناءهم..

المشكلة: هذا ذهب الآن.. الوضع الصوفي تبنته الحكومات، وتبناه المستشرقون، وتبنته الدول؛ ولكن هو لم يقدم السلاح الكافي ولا المادة الكافية في المقاومة.. الصوفية تلاشت.. وإن كانت موجودة الآن يحارب أتباعها.. أفراد من الصوفية يخرجون يحاربون المجاهدين.. يحاربون تحولات الأمة.. يحاربون الفقه السني الصحيح.. يحاربون تقدم الشباب لتولي مهمات الأمة ومهمات القرآن ومهمات السنة؛ ولكن موقفهم ضعيف ليس بالقوي..

المشكلة: أنهم يتبنون اليوم من هو على غرارهم في التأويل وإن كان لا يحمل الراية الصوفية.. وهذا إن شاء الله له بحث واسع.. إن شاء الله سيكون في إحدى مناقشات الكتب القادمة -قريبا..ربما الكتاب الثاني أو الثالث- وهو كتاب محمد شحرور: " الكتاب والقرآن ".. فسأتحدث عن هذه الظاهرة، لأنها هي الظاهرة المتبناة الآن التي تتوافق مع الإلحاد.. ظاهرة الإلحاد الموجودة.. موديل أو موضة الإلحاد التي تنتشر بين الناس

ولكن المد الصوفي لم يحقق لهم مرادهم في إيقاف حركة الأمة ونهضتها وتقدمها نحو النبوءات النبوية الشريفة بنصرة الله لها وبتأييده لعودتها إلى قيادة العالم.

شكرًا لكم، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين

تفريغ العبد الفقير لرحمة ربه: أبي عبد الله الرتياني